﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۭۚ بَلۡ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ كَٰفِرُونَ ١٠﴾ [السّجدة: 10]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

الآية دليلٌ على سابقتها وهي تحوي ذِكْرَ الأصول الثَّلاثة

جاءت هذه الآية دليلًا على ما سبقها، فإنَّه لمّا قال: ﴿قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ﴾؛ بيَّن عدمَ شُكرِهم بإتيانهم بضِدِّه، وهو الكفر، وإنكارِ قُدرته على إحياء الموتى، والحقُّ كلَّما ذكر أصلين من الأصول الثَّلاثة، لم يترك الأصل الثّالث، فإنَّه لمّا ذكر الرِّسالة بقوله: ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾، إلى قوله: ﴿لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ﴾؛ ذكر الوحدانيَّة بقوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾، إلى قوله: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ﴾، وذكر الأصل الثّالث، وهو الحشر، بقوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ضَلَلۡنَا﴾: (ضلّ) أصل صحيح يدلُّ على ضياع الشَّيء وذهابه في غير حَقِّه، يقال: ضَلَّ يَضِلُّ ويَضُلُّ لغتان، وكلُّ جائرٍ عنِ القصد ضالٌّ، والضَّلالُ والضَّلالةُ بمعنًى، ورجلٌ ضِلّيلٌ ومُضَلَّلٌ؛ إذا كان صاحبَ ضلالٍ وباطل[2]، وضلَّ الرَّجلُ الطَّريق، وضَلَّ عنه، أي: زَلَّ عنه، فلم يهتدِ إليه؛ فهو ضالٌّ[3]، والضَّلالُ: العدولُ عن الطَّريق المستقيم، ويضادُّه الهداية، قال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۖ﴾ [يونس: 108]، ويقال: الضَّلالُ لكلِّ عدولٍ عنِ المنهج، عمدًا كان أو سهوًا، يسيرًا كان أو كثيرًا، فإنَّ

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 142.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ضلّ).
(3) الفيومي، المصباح المنير: (ضلل).

الطَّريق المستقيم الَّذي هو المرتضى صعب جدًّا، وقوله: ﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾، كناية عن الموت واستحالة البدن[1].

2) ﴿خَلْقٍ﴾: (خلق) أصل يدلُّ على تقدير الشَّيء، ومنه قولهم: خلقتُ الأديمَ للسَّقاء؛ إذا قَدّرته[2]، والخَلْقُ أصله: التَّقدير المستقيم، ويُستعمل في إبداع الشَّيء من غير أصل ولا احتذاء، قال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الأنعام: 1]، أي: أبدعهما، بدلالة قوله: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: 117]، ويُستعمل في إيجاد الشَّيء مِنَ الشَّيء، نحو: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [النّساء: 1]، ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ﴾ [النّحل: 4]، ﴿خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ﴾ [المؤمنون: 12]، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ﴾ [الأعراف: 11]، ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ﴾ [الرّحمن: 15]، وليس الخَلْقُ الذي هو الإبداع إلّا لله تعالى[3]، والمعنى المِحوريُّ: تهيئة مادَّةٍ غُفْلٍ؛ لتكون شيئًا مُعَيَّنًا مُرادًا[4].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

استبعادُ المكذِّبينَ الجزاءَ والحسابَ؛ لإنكارهمُ البعثَ ولقاءَ الله

في الآية الكريمة يتبيَّن أنَّ المكذِّبين يستبعدون التَّفرُّق والغياب في باطن الأرض؛ لذا قالوا مستفهمين مُنكرين: ﴿أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾، أي: لمبعوثون بعثًا جديدًا، بزعمهم أنَّ هذا من أبعد الأشياء؛ وذلك لقياسهم قدرةَ الخالقِ بقدراتهم، وكلامهم هذا ليس لطلب الحقيقة، وإنَّما هو ظُلْمٌ وعِناد، وكفرٌ بلقاء ربِّهم وجَحْدٌ، ولهذا قال: ﴿بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ﴾.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

معنى الواو في قوله: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلْنَا﴾:

التَّعجيب من حال الكفّار وبيانُ موقفِهم

الواو في قوله: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلْنَا﴾ حاليَّة، والحال للتَّعجيب

(1) الرّاغب، المفردات: (ضلل).
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (خلق).
(3) الرّاغب، المفردات: (خلق).
(4) جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (خلق).

منهم، كيف أحالوا إعادةَ الخَلْق، وهم يعلمون النَّشأة الأولى، وليستِ الإعادة بأعجبَ من بَدء الخَلْق، وخاصَّةً بدءَ خَلْق آدمَ عن عدم، وخلوُّ الجملةِ الماضويَّة عن حرف (قد)، لا يقدح في كونها حالًا على التَّحقيق، وقد يقال: الواو للعطف على ما سبق منهم، فإنَّهم قالوا: محمَّد ليس برسول، واللّٰه ليس بواحد، وقالوا: الحشر ليس بممكن[1].

عودُ الضَّمير بالجمع في ﴿وَقَالُوٓاْ﴾:

الرِّضا بالقول اشتراك فيه

الضَّمير في الفعل ﴿وَقَالُوٓاْ﴾ واوُ الجماعة، علمًا بأنَّ القائل واحدٌ، وهو أبيُّ بنُ خَلَفٍ، وإنَّما كانت الواو هنا لبيان رضاهم بقولِه[2]، فإذا رَضُوا بقوله؛ فكأنَّ الجميع قد قال ما قال، فأُسند القولُ إلى الكلِّ لموافقتهم له، وعدمِ إبداء الاعتراض على ما قال، ثمَّ إنَّ القول فيه دليلٌ على غاية كفرانهم بنِعَم اللّٰه، ونهاية عَمَههم وسَكْرتهم فيه[3].

غرضُ الالتفات من الخطاب إلى الغَيْبة:

بيانُ ملمَح الإعراض وقِلَّةِ العناية

في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ﴾ خطاب، ثم التفت النَّظم القرآنيُّ منه إلى الغَيبة، فقال: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا﴾، وغرضُ الالتفات من الخطاب للغَيبة بيانُ أباطيلِهم بطريقِ الالتفاتِ؛ إيذانًا بأنَّ ما ذُكر من عدمِ شُكرِهم بتلك النِّعَم، موجبٌ للإعراضِ عنهم، وتعديدِ جناياتِهم لغيرهم[4]، فكأنَّ عقابَ قِلَّة الشُّكر أو عدمِه هو الإهمال وعدمُ الحَفْل؛ جزاءً وِفاقًا لمواقفهم المخزية ونسيانِهم ربَّهم، وقد يُضاف إلى ذلك الإيذانُ بالغضب من قولهم[5].

تغايرُ القول بينَ الماضي والمضارع:

بيانُ حداثة كفرهم بالرِّسالة وقِدَمِ كُفرانِهم بالحَشْر

فقد قال تعالى في أوَّل السّورة في تكذيبهم الرَّسول في الرِّسالة:

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 142.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 81.
(3) الشّيخ علوان، الفواتح الإلهيّة: 2/ 141.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 81.
(5) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 247.

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُۚ﴾، وذلك بلفظ المستقبل، وقال في تكذيبهم إيّاه في الحشر ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلْنَا﴾ بلفظ الماضي؛ وذلك لأنَّ تكذيبهم إيّاه في رسالته لم يكن قبل وجودِه، وإنَّما كان ذلك حالةَ وجودِه، فقال: ﴿يَقُولُونَ﴾ يعني هم فيه، وأمّا إنكارهم للحشر؛ فكان سابقًا صادرًا منهم ومن آبائهم، فقال: ﴿وَقَالُوٓاْ﴾[1]، ومن ناحية أخرى: فالفعل ﴿وَقَالُوٓاْ﴾ يتلاءم مع جو الماضي المسيطر على السياق هنا (﴿أَحْسَنَ﴾، ﴿خَلَقَ﴾، ﴿وَبَدَأَ﴾، ﴿جَعَلَ﴾، ﴿سَوَّىٰهُ﴾، ﴿وَنَفَخَ﴾، ﴿وَجَعَلَ﴾، ﴿وَقَالُوٓاْ﴾).

دلالة الهمزة في ﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا﴾:

التَّعجُّبُ من حالهم وإنكارِه

الاستفهام بالهمزة في ﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا﴾ للتَّعجُّب والإحالة، أي: أظهروا في كلامهم استبعادَ البعثِ بعد فناء الأجساد واختلاطِها بالتُّراب، مغالطةً للمؤمنين، وترويجًا لكفرهم[2]، وفي الاستفهامِ بالهمزة دلالةٌ على غاية كفرانِهم بنِعَم الله، ونهاية عماهم وسكرتهم[3].

بلاغةُ تكرارِ الهمزة في ﴿أَءِذَا﴾ ﴿أَءِنَّا﴾:

تأكيد التَّعجُّبِ والحَيْرة مفيدٌ في البلاغ

تكرارُ الهمزةِ لتأكيد التَّعجُّب والإنكار[4]، من كونهم سيُعادُون ثانيةً في خَلْق جديد، فالتَّكرارُ تمكُّن مِنَ التَّعجيب الَّذي يُناوِش عقولَهم وعقيدتَهم، فدلَّت كثرةُ الاستفهام على الحَيرة والشَّكِّ والتَّردُّد.

نُكْتَةُ التَّعبيرِ بالجملة الشَّرطيَّة:

بيان التَّعجُّب والإنكار واستبعادُ حصولِ الجواب

الجملة الشَّرطيَّة: ﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍۚ﴾ قائمةٌ على السَّبب والنَّتيجة، أو حصولِ الجزاء على حصول الشَّرط

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 142، والرّازيّ قد أشار إلى الآية: (38) من سورة يونس، والأَولى أن نشير إلى الآية الثالثة من السورة نفسها للترابط الحاصل بينهما، ويبقى الفضل للدّالّ.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 218.

(3) النّخجواني، الفواتح الإلهيّة: 2/ 141.

(4) الإيجي، تفسير الإيجي: 3/ 328.

في المستقبل، وفيه معنى التَّعجُّب والإنكار والاعتراف بما سيكون بعد الموت.

فائدة الشَّرط بـ (إذا) دون (إن):

تيقُّنُ وقوعِ الموت أمرٌ واقع ما له مِن دافع

الجملة الشَّرطيَّة المبدوءة بـ (إذا) دالَّةٌ على أنَّ ضلالهم في الأرض بعد موتهم أمرٌ مقطوع به، لا شكَّ فيه، وهذا واقع مشاهد؛ فلا أحدَ يُنكر الموتَ، بخلاف (إنَّ) الدّالَّة على الشَّكِّ في الأمر، وأنَّ قطعيَّتَهُ غيرُ متيقَّنة، ولليقين في (إذا) جاء بعدَها الفعلُ الماضي ﴿ضَلَلْنَا﴾ لا المضارع (نضلُّ)؛ لتيقُّن حدوثِ الفعل، فكان المناسبُ هنا توظيفَ (إذا) لا (إن).

بلاغةُ التَّعبير بالضَّلال:

اتِّساع المعاني في اللَّفظ

لفظ ﴿ضَلَلْنَا﴾ يحمل معاني الغَيبوبة والبُطلان، فالعرب تقول للشَّيء إذا غلب عليه غيرُه حتّى خفيَ أثرُه: قد ضَلَّ، ويحمل معنى: غِبْنا في الأرض، ويحمل معنى: الذَّهاب والضَّياع والصَّيرورةِ ترابًا، والدَّفنِ والهلاكِ[1]، وهذا ما لا يحمله لفظٌ آخَرُ يضارع بلاغةَ هذا اللَّفظ الكريم.

معنى ﴿فِي﴾ في قوله: ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾:

بيانُ التَّمكُّنِ والالتصاق مفيدٌ في الإبانة عنِ المراد

قوله: ﴿ضَلَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾، الأصل في دلالة ﴿فِي﴾ الظَّرفيَّة، وظرفيَّتها هنا مكانيَّة؛ لأنَّ مجرورها مكان ﴿ٱلْأَرْضِ﴾، وتوظيفها هنا دالٌّ على المبالغة والتَّمكُّن مِنَ الأرض، فحرفُ الوعاءِ دالٌّ على إحاطة الأرض بهؤلاء، بحيثُ إنَّهم يلتصقون بها، ففي المسألة رسوخ، وهذا في ظنِّهم مانعٌ من العَود والخَلق الجديد، وفيها مع الظَّرفيَّة معنى المصاحبة[2].

دلالة (أل) في لفظ ﴿ٱلْأَرْضِ﴾:

اتِّساع المعنى في اللَّفظة مفيد في البيان

تحتمل (أل) في لفظ ﴿ٱلْأَرْضِ﴾ من قوله: ﴿ضَلَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أن

(1) القنوجي، فتح البيان: 11/ 19.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 218.

تكون عهديَّةً، أي: الأرض المعروفة لديهم، وتحتمل أن تكون جنسيَّةً استغراقية، أي: كلُّ الأرض، وأيُّ مكان فيها، والمعنيان مُرادان، وقد يكون تنوُّع دلالة (أل) دالًّا على تنوُّع عقولِ أصناف الكافرين، فصِنفٌ ينظر للأرض الَّتي تحت قدميه، فهو غارق فيها، وصنفٌ ينظر لكلِّ الأرض، فدلَّت الأداة على تحيُّرهم وتعجُّبهم واختلاف عقولهم، وإنِ اتَّحدوا على الكفر.

بلاغةُ الاستفهام في الآية الكريمة:

الاستفهام للإنكار مبينٌ عن دلالة السّياق

في قوله: ﴿أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍۚ﴾ الهمزةُ لتذكيرِ الإنكارِ وتأكيدِه، فالمَعنى على تأكيدِ الإنكارِ، لا إنكارِ التَّأكيدِ، كما هو المتبادَرُ من تقدُّمِ الهمزةِ على (إنَّ)، فإنَّها مؤخَّرةٌ عنها في الاعتبارِ، وإنَّما تقديمُها عليها لاقتضائِها الصَّدارةَ[1].

بلاغةُ توالي المؤكِّدات في الآية:

تمكُّنُ التَّعجُّب وإنكارُ الإعادة

قوله: ﴿أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍۚ﴾، أُكِّدت الجملةُ بـ (إنا)، وكذا بلام الابتداء المقترنة بالظَّرف (في)، واسميَّة الجملة الدّالَّة على الثَّبات وتمكُّن التَّعجُّب من نفوسهم، وكأنَّ التَّعجُّب واشٍ بإنكار الحساب والعقاب في المفضي إليه الخلق الجديد، والمعنى: "لَتقومون كما كنتم قبلَ الموت، قيامًا لا شكَّ فيه، والإخبار به مستَحِقٌّ لغاية التَّأكيد"[2].

بلاغةُ توجيه القراءات القرآنيَّة في الآية:

بيانُ التَّعجُّب والرَّفض للموقف كلِّه موتًا وبعثًا

قرأ ابن عامر وأبو جعفر: ﴿وَقَالُوٓاْ إِذَا ضَلَلۡنَا﴾ بغير استفهام، وعليه فإنَّ جواب (إذا) يكون محذوفًا، وتقديره: إذا ضللنا في الأرض؛ نبعث، ويكون إخبارًا منهم على طريق الاستهزاء[3]، و﴿أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٍ جَدِيدٍۚ﴾ على وجه الاستفهام؛ لأنَّهم كانوا يُقرّون بالموت،

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 81.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 451.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 8/ 433، وابن الجزري، النشر: 1/ 372.

ويشاهدونه، وإنَّما أنكروا البعثَ، ويكون الاستفهام في البعث دونَ الموت[1]، وقد تكون القراءتان معبِّرتين عن فريقين: فريقٍ موقنٍ أشدَّ الإيقان بالموت، وآخَرَ يخالجه الشَّكُّ والرَّيب، فاستُخدم الاستفهامُ، وقد يكون الاستفهام متَّجهًا إلى الموقف كلِّه الموت والبعث، وإثباته في الموت والبعث لبيان شِدَّة تعجُّبِهم ورفضهم لما سيؤول إليه حالهم.

نُكْتَةُ التَّعبير بالظَّرفيَّة في ﴿لَفِى﴾:

بيانُ التَّمكُّن والاحتواء في سياق المعنى

الأصل في (في) بيانُ الظَّرفيَّة، وهي في قوله: ﴿أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ ظرفيَّةٌ مكانيَّةٌ، والظَّرفيَّةُ وعاءٌ واحتواءٌ وشمول، فدلَّت (في) على عمق الأرض واتِّساعها، بحيثُ حَوتهم جميعًا، لا فرقَ بين إنسان وآخر، كلُّهم ضالّون فيها، فكانتِ الأرضُ صاحبةَ تمكُّنٍ واحتواءٍ لهم، بحيثُ لا تُبْقي، ولا تَذَر، ويُؤكِّد هذا المعنى لامُ التَّوكيد المتَّصلة بالظَّرف، فالتَّوكيد تمكينٌ، وإزالةُ شكٍّ.

نُكْتَةُ تنكير لفظ ﴿خَلْقٍ﴾:

بيانُ مُفادِ السِّياقِ للتَّعظيم والتَّعجيب

تنكير قوله: ﴿خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ لتعظيم شأن ذلك الخَلق، والإشعار بأنَّه على وجه غيرِ متعارف ولا معتاد[2]، وفيه الإيذانُ بأنَّه حقيقٌ بأن يُبحَثَ عنْهُ، ويُهتمَّ بمعرفته[3].

نُكْتَةُ وصفِ الخَلْق بالجديد:

بيانُ اعتقادِهم الانقطاعَ عن حياتهم الأولى

وصف الخلق بالجديد - في قوله: ﴿أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ - لأنَّ الجديد هو المُهيَّأُ بالقطع إلى التَّكوين قبلَ التَّصريف في الأعمال، وأصل الصِّفة القطع[4]، فكانتِ الجِدَّةُ وصفًا لهم؛ لأنَّهم سيُقطعون، وينقطعون عنِ الحياة، فصار مناسبًا لحالهم التي يتعجَّبون منها، ثمَّ إنَّ لفظة ﴿جَدِيدٍ﴾ بوزن فعيل، وفيها اتِّساع؛ إذ تحتمل الفاعليَّةَ

(1) السّمرقنديّ، بحر العلوم: 3/ 35.
(2) البيضاويّ، تفسير البيضاوي: 5/ 140.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 128.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 10/ 282.

والمفعوليَّةَ، فجَديد بمعنى (فاعل) من جَدَّ، كحديد من حَدَّ، وقيل: بمعنى مفعول من جَدَّ النسّاجُ الثّوبَ؛ إذا قطعَه[1].

دلالةُ الإضرابِ في ﴿بَلْ﴾:

ملمَح الانتقالِ من حالٍ شنيع إلى حالةٍ أشنع

في قوله تعالى: ﴿بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ﴾ وجهان؛ **الأوَّل:** أنَّه إضراب وانتقال عن بيان كفرهم بالبعث، إلى بيان ما هو أبلغ وأشنع منه، وهو كفرهم بلقاء ملائكة ربِّهم عند الموت، وما يكون بعدَه جميعًا، **والثّاني:** هو إضرابٌ وترقٍّ مِنَ التَّردُّد في البعث واستبعاده، إلى الجَزم بجَحْدِه، بناءً على أنَّ لقاء الرَّبِّ كنايةٌ عن البعث[2].

نُكْتَةُ التَّعبير بالاسميَّة في الآية:

بيـانُ ثبـاتِ كـفـرِهـم بلقاء الله جلَّ في علاه

أفادت اسميَّة جملة: ﴿بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ﴾ أنَّهم ثابتون على الكفر بلقاء الله، دائمون عليه، وهو ممّا أنذرتهم به آياتُ القرآن، فالتَّكذيبُ بلقاء الله تكذيبٌ بما جاء به القرآن، فهم لا يؤمنون، وإنَّما يؤمن بآيات الله الذين ذُكِرت أوصافُهم هنا[3]، فالجملةُ الاسميَّةُ في التَّركيب تُحقِّق معاني الثَّبات والقوَّة، فهي أقوى من الجملة الفعليَّة، وثباتُ الاسميَّة دالٌّ على انطماس بصائرهم، واستيلاء العِناد والجهلِ عليهم، فهم بلقاء ربِّهم يوم القيامة كافرون جاحدون؛ لأنَّهم قدِ استبعدوا إعادتَهم إلى الحياة بعدَ موتهم، مع أنَّ الله تعالى قد أوجدهم، ولم يكونوا شيئًا مذكورًا.

معنى الباء في قوله: ﴿بِلِقَآءِ﴾:

بيـانُ أنَّ الاستنكار كان بسبب كفرهم بلقاء الله تعالى

الباء في قوله: ﴿بِلِقَآءِ﴾ دالَّةٌ على السَّببيَّة التَّعليليَّة، أي: إنَّهم كفروا بالله بسبب هذا اللِّقاء الَّذي أنكروه، وبالغوا في رفضه وكُفرانه، وكأنَّ الباء مع متعلَّقها هي الَّتي امتحنت إيمانَهم واختبرتْهُ ومحَّصَتْهُ، فكانتِ النَّتيجةُ الخسارَ والتَّبار.

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/ 242.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 81، والآلوسي، روح المعاني: 11/ 123.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 219.

فائدة التَّعبيرِ بلفظ الرُّبوبيَّة وإضافتِه إليهم:

التَّشنيع على الرَّغم من الإضافة إليه للتَّكريم

التَّعبير بلفظ ﴿رَبِّهِمْ﴾ في قوله: ﴿بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ﴾، فيه مزيدُ تشنيع على الكفّار، فالرَّبُّ هو الَّذي يحمي، ويَكلأ، وهو الَّذي يمنح الهبات، وإكمالَ الصّورة من سمع وبصر، فكيف يكفرون بلقاء ربٍّ له عليهم فضلُ كرم وعطاء؟ ثمَّ إنَّ لفظ ﴿رَبِّهِمْ﴾ هو المناسب لما قبلَه من سياق النِّعم والآلاء، وعادةُ القرآنِ أن يُضيف لفظةَ (ربّ) إلى الضَّمائر أو الأسماء الظّاهرة، فلم يُعَرَّف لفظ (رب) بالألف واللّام في كلِّ القرآن، وفي إضافتهم له تشريفٌ وتكريم، وإظهارٌ لمكانة المخلوق عند الخالق، ولو كافرًا، ومن ثَمَّ فالإضافة غرضُها إعادةُ التَّفكير في موقفهم المعاند، وتهييجُ عقولِهم وإلهابُها؛ حتّى يعودوا إلى الجادَّة، ويبتعدوا عن طريق الغِواية، ثمَّ في التَّعبير بالرَّبِّ إشارةٌ إلى أنَّه لا يَحْسُن بالمُحْسِن أن يُنَغِّصَ إحسانَه بترك القصاص مِنَ الظّالم الكائِن في القيامة[1].

بلاغةُ تقديمِ شِبه الجملة على الخبر:

بيانُ تخصيص اللِّقاء بالإنكار مع رعاية الفاصلة

في قوله: ﴿بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ﴾، قُدِّمَت شِبه الجملة على الخبر، وفي هذا التَّقديم ثلاث فوائد: الأولى: أنَّ تقديم المجرور جاء لرعاية الفاصلة[2]، فالفاصلة ﴿كَٰفِرُونَ﴾ سبقها النّون ﴿تَشْكُرُونَ﴾، ولحقها النّون أيضًا ﴿تُرْجَعُونَ﴾، فلو تأخَّرت شِبه الجملة ما لوحِظَ هذا الإبداع اللَّفظيُّ، والثّانية: لتخصيص الكفر بلقاء الله ﷻ؛ تمكينًا لرفض اللِّقاء، وإنكارًا لإمكان حدوثه، أي: إنَّه ليس لهم جحودُ قدرةِ الله تعالى على الإعادة؛ لأنَّهم يعترفون بقدرته، ولكنَّهم اعتقدوا أنَّه لا حسابَ عليهم، وأنَّهم لا يَلقَون اللّهَ تعالى[3]، والثّالثة: أنَّ فيه توبيخًا وتقبيحًا لموقفهم المعاند، الَّذي لا مسوِّغ له سوى العناد والتَّكبُّر وضيقِ العقل.

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 247.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 219.
(3) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 14/ 92.

علَّةُ التَّعبير بلفظ ﴿كَٰفِرُونَ﴾:

بـيـانُ سَـترهـم للحقِّ وأنفتهم من الإقرار بالأمر

التَّعبيرُ بلفظ ﴿كَٰفِرُونَ﴾ في قوله: ﴿بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ﴾؛ لبيان إنكارهم للبعث عنادًا، وسترهم لما في طباعهم من أدلَّته؛ لما غلب عليهم من الهوى القائد لهم إلى أفعالٍ، منعهم مِنَ الرُّجوع عنها الكِبرُ عن قَبول الحقِّ، والأَنَفة مِنَ الإقرار، بما يلزم منه نقصُ العقل[1]، فهُم كاملون في الكفر، عريقون فيه، بُعَداء معزولون عن منهج الرُّشدِ، كما أنَّ فيه رعايةَ الفاصلة المبنيَّة على حرف النّون.

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 247.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والأربعون،
سورة لقمان من الآية 21 إلى سورة الأحزاب الآية 25
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2025م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2025م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والأربعون، سورة لقمان من الآية 21 إلى سورة الأحزاب الآية 25
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2025.
مج. 44 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-97-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 44 : المجلد الرابع والأربعون، سورة لقمان من الآية 21 إلى سورة الأحزاب الآية 25.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-97-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4197137 بتاريخ 2025/01/02م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»